آثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين

بشار عواد معروف

لا مراء في ان الباحث حينما يريد تتبع اثر علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين ، لابد له ان يتتبع بدقة وامعان تطور هذين العلمين ، مبينا العلاقة التي لازمت كلا منهما ، واثرها – سلبا أو ايجابا – في تطور العلم الاخر . وهذا الامر يحتم على الدارس ان يلقي نظرة عجلى على منشأ علم التاريخ عند المسلمين ، وعلاقته من هذا الوجه بالحديث النبوي ، ومن ثم تبيان تطور الفكرة التاريخية عند المؤرخين الاوائل ، ودراسة اساليبهم في الكتابة التاريخية ، وفحوى كتبهم في هذا العلم ، والعوامل التي دفعتهم الى الكتابة بالشكل الذي وضعوا فيه مدوناتهم .

ولا يشك الباحث لحظة في ان معرفة الغاية من كتابة التاريخ عند المسلمين ، ودراسة الاتجاهات المختلفة في الكتابات التاريخية في مختلف العصور ، ستأخذ بايدينا نحو الفهم الصحيح لمعنى التاريخ عند المسلمين ومن ثم اثر علم الحديث فيه .

ولسنا هنا بحال يسمح لنا بدراسة الجذور التاريخية لعلم التاريخ عند المسلمين ، ولاسيما ما يتعلق بالعصر الجاهلي ، ويمكننا في مثل هذا المجال ان نحيل القارىء الى بعض البحوث الحديثة في هذا الباب[1] . على ان الامر الذي يبدو أكثر أهمية هو تبيان العوامل التي دفعت المسلمين الى الاهتمام بالتاريخ من جهة ، وتتبع الاساليب التاريخية التي سادت عصر صدر الاسلام ، وتطورها فيما بعد من جهة أخرى . ونحن حينما نستطيع تتبع هذه الدوافع ، ونبين ما انقرض منها ، وما استمر ، سنستطيع ان نعطي احكاما اكثر دقة ، وربما اقرب الى الواقع .

عوامل اهتمام المسلمين بالتاريخ :

١ – ان فكرة توالي الانبياء وان محمداً (ص) خاتم النبيين ، وهي الفكرة التي جاء بها الاسلام ، دفعت الكثير من العلماء المسلمين الى الاهتمام بدراسة هذا التسلسل التاريخي ، ومن ثم دفعهم هذا الامر الى دراسة التاريخ منذ الخليقة (المبتدأ) ، واعتمدوا في ذلك كثيرا على كتب الديانات السماوية . وبرز في هذا الميدان عالم عظيم لعب دورا مهما هو وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ هـ[2] ، كما برزت أسماء آخرين مثل كعب الاحبار ،

ومحمد بن كعب القرظي(*) وغيرهما ٠

على ان الذي يلاحظ في هذه الكتابات انها كانت مقتصرة على عصر ما قبل الاسلام من جهة ، ثم انها لم تعد تظهر الا في مقدمة كتب الحوليات كتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري ، والمنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوزي ، والكامل في التاريخ لابن الاثير والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها ، يتناولها كتاب الحوليات هؤلاء الواحد عن الآخر ، ولذا فان أهميتها قلت ولم تعد ذات أثر بالغ في تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين ٠

٢ ـ وجاء القرآن بكثير من القصص واخبار الانبياء ، توسع في بعضها ، واشار اشارات عابرة الى البعض الآخر ؛ فكان لا بد ان يتجه المسلمون نحو تقديم معلومات أوسع عن هذا القصص ، ويكونوا من الاشارات التي جاء بها القرآن عن الانبياء سيرا طويلة(٣) ، اعتبرت حينا جزء من تفسير القرآن ، ومادة للسمر حينا آخر ٠ على ان هذه المادة التي يصعب ان تطلق عليها «مادة تاريخية» ظلت تنتقل في كتب التفسير ، وقلما انتقلت الى كتب التاريخ اللهم الا كتب الحوليات ، وبعض الكتب الاخرى ، باعتبارها مادة مكملة للقسم الخاص بما قبل الاسلام ، وكان المسلمون يضطرون الى قبول بعض الروايات ، في موضوعات خاصة ليس في ذكرها وتدوينها ضرر كبير ، حينما لا يجدون الا هذه المادة التاريخية ٠ ومن هنا ارتضوا لانفسهم ان يأخذوا عن بعض الاشخاص التفسير في الوقت الذي لم يأخذوا عنهم الحديث ؛ فتكلم يحيى القطان مثلا عن جويبر بن سعيد البلخي ، ومحمد بن السائب الكلبي ، والضحاك بن مزاحم وهم تلامذة سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ هـ(٤) وقال : « هؤلاء لا يحمل حديثهم ، ويكتب التفسير عنهم(٥) » ٠ ولا مراء في أن هذا النقد لم يكن متأتيا عن « اختصاص » هؤلاء الاشخاص في التفسير ، وعدم معرفتهم برواية الحديث ، لكن للحديث اهميته في التشريع ، وليس في تفسير بعض ما ورد في القرآن من اشارات عن « اساطير الاولين » ، أو الخليقة مما يدخل في الحياة الاسلامية بصورة حادة ٠ وقد عبر عن ذلك المؤرخ المحدث المفسر عماد الدين ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ في مقدمة كتابه « البداية والنهاية » فقال : « ٠٠٠ ولسنا نذكر من الاسرائيليات الا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠ وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه ٠ وانما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف نبينه»(٦) ٠ ومع ان ابن كثير قد تكلم على الخليقة والمستقبل وضمن كثيرا من هذه الاخبار كتابه كخلق العرش والكرسي والسموات ، والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين ، وكيفية خلق آدم عليه السلام ، وقصص النبيين ، وما جرى

مجرى ذلك الى أيام بني اسرائيل وأيام الجاهلية وغير ذلك(٧) ، لكنه اشتكى من كثرة ما أورد الذين كتبوا من قبله عن هذا الموضوع فقال : « وقد قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذكر الامم الماضين ، وكيف فعل بأوليائه ، وماذا حل باعدائه . وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته بيانا شافيا ، سنورد عند كل فصل ما وصل الينا عنه ، صلوات الله وسلامه عليه ... وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولسنا نحذو حذوهم ، ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار . ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه فوقع فيه الافكار . »(٨)

ومن هنا يلاحظ ايضا ان هذه المادة نفسها كانت تتكون من الاحاديث النبوية ، ولا يهمنا في هذا المضمار سواء كانت هذه الاحاديث من الاحاديث الصحيحة أو الموضوعة ، وغالبها كذلك بالطبع ؛ اذ ان المهم هو انها كانت الاساس الذي قام عليه التفسير في مثل هذا المجال ، كما كانت الاساس الذي قامت عليه كتب « المبتدأ » والتي دخلت كقسم أول في كتب الحوليات .

٣ ـ وقد لقيت أحاديث الرسول (ص) اهتماما بالغا عند العلماء المسلمين نظرا لدخولها في التشريع ؛ فاهتموا بها ، وتدارسوها ، ورتبوها باشكال مختلفة حسب الحاجات ، وتفكير الاشخاص . ووضعوا لها علوما اعتبرت بحق أعظم ما انتج الفكر الاسلامي . وهي الى جانب كونها ذات الاثر البين في تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين ، تكون بحد ذاتها مادة تاريخية واسعة عن القرن الاول الهجري خاصة . وسنتطرق فيما يأتي من مباحث عن هذا الامر بتفصيل اذ ان مدار بحثنا مرتكز عليه بالدرجة الاولى .

٤ ـ ولما توفي الرسول (ص) وجاء الخلفاء الراشدون الى الحكم اهتم المسلمون باعمالهم ، وتنظيماتهم ، يدفعهم الى ذلك المركز العظيم الذي تمتع به هؤلاء الخلفاء الاجلاء ، واعتبارهم المثل الاعلى للخلق القويم والسيرة الصالحة ، ومن ثم اعتبر الكثير من الفقهاء ـ فيما بعد ـ ان اعمال الخلفاء الراشدين تأتي بعد أعمال النبي ، كما اهتموا باقوالهم واحاديثهم ، بله أقوال واحاديث الصحابة أجمعين ، نظرا لاعتماد الكثير من المسلمين عليها في التشريع ، ولا يشك المرء لحظة في ذلك عند دراسته لكتب اصول الفقه(٩) والكتب التاريخية التي تعنى بالامور الفقهية والاخلاقية والاقتصادية .

٥ ـ وكانت الفتوح الاسلامية مادة طيبة لتدوين التاريخ ؛ فهي ذات أهمية في تقرير احوال الشعوب المفتوحة تبعا لنوع الفتح ، كما انها تقرر نوع المعاهدات والاتفاقات التي عقدت بين العرب الفاتحين وسكان البلاد المفتوحة ، وأخيرا فانها تكون جزء من المادة « الفقهية » التي يترتب عليها الكثير من أمور التشريع ؛ فمن ذلك آداب الحرب ، وما يعامل به غير المحاربين من النساء والاطفال والعجزة والرهبان ، وتوسعت بذلك البحوث التي

تتناول العلاقات بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول . كذلك لتنظيم أمور الخراج والجزية والعشور وما الى ذلك من الامور . ولذلك لاحظنا تأليف كتب كثيرة في هذا الموضوع لعل أشهرها كتب علي بن محمد المدائني « ت ٢٢٥ هـ » وكتاب يحيى بن جابر البلاذري « ت ٢٧٩ هـ » « فتوح البلدان » الذي رتبه على الاقاليم ، تناول في كل منها : فتحه ، ونوع الفتح،وما عمل الفاتحون به .

٦ ـ وقامت تنظيمات الدولة الاسلامية في القرن الاول الهجري على أساس التنظيمات القبلية ،(١٠) بغض النظر عن التعديلات أو التبديلات التي أدخلت زمن الخلفاء الراشدين ، وخاصة أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، على هذه القبائل من حيث تقسيماتها واعدادها ؛ فكان العطاء (الرواتب) يوزع على أساس القبائل حيث يعطى عطاء القبيلة الى رئيسها ويوزع بعد ذلك على أفرادها ، ولذلك قسمت المجتمعات الاسلامية في القرن الاول الهجري على أساس القبائل أيضا . وكان العطاء وتنظيماته تعتمد على أمور مختلفة ، على أن أهمها السبق في الاسلام ، وهو أمر يرتبط أيضا بالقبائل بشكل واسع ، اذ غالبا ما كان اسلام القبائل عاما ، أي ان معظم القبيلة ، أو العشيرة ، تسلم مرة واحدة وذلك عندما يدخل شيخها في الاسلام . كما أخذت القرابة من الرسول (ص) بنظر الاعتبار ، وكذلك الخدمات التي قدمتها القبائل أو العشائر او الافراد للاسلام . ومن هنا كان أن ظهرت الكتب التي تهتم بهذه الامور ، وغالبا ما ظهرت على شكل كتب « انساب » . ولعل خير ما يصور هذا الامر هو كتاب « النسب الكبير » لابن الكلبي ، الذي اعتمد عليه الكتاب الذين وضعوا كتبا في هذا المضمار مثل محمد بن حبيب السكري ، وابن حزم ، والسمعاني وغيرهم .

٧ ـ ولما كان تنظيم الدولة قد قام على أساس قبلي ، ونظمت المجتمعات الاسلامية على أساسها ، لذلك انبرى كتاب القبائل الى تأليف الكتب والرسائل التي تظهر أمجاد قبائلهم ومفاخرها ، ومكانتها في الجاهلية ، وفي الاسلام بصورة خاصة ، ويبدو ذلك واضحا في الكتب التي ألفها مصعب الزبيري ، والزبير بن بكار ، وأبو عبيدة ، وغيرهم(١١) .

٨ ـ وكان الصراع السياسي ، في القرن الاول الهجري خاصة ، مادة غنية استمد منها بعض الكتاب مادة لكتبهم ، كالصراع بين العلويين والامويين مثل كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم المنقري ، وكتاب « مقتل حجر بن عدي » لابي مخنف(١٢) ، أو موضوعات أثارت فضول الناس ، كأعمال الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ألف المدائني كتابا في اخباره ووفاته(١٣) ، أو عبدالله بن الزبير الذي ألف أبو مخنف كتابا في مقتله(١٤) ، لما عرف عن قصته من التضحية والشجاعة والوفاء ، وما فعله الامويون عند حصاره ... الخ . وكانت هذه الكتب وامثالها مادة طيبة للسمر في ليالي الصيف العليلة ، وليالي الشتاء الباردة الطويلة ، يتداول الناس فيها

الطرائف والاخبار ، وهي أنس للانيس والمجالس ٠
٩ ـ وكان للصراع الذي نشأ بين الاسلام وغيره من الديانات ، ولا سيما المجوسية ، والامور التي ترتبت عليه من ظهور الشعوبية ، ومبدأ التسوية ، قد دفع الكثيرين ممن يعطفون على دياناتهم ـ المستورة ـ أو ديانات آبائهم واجدادهم ، الى وضع الكتب التي تبين مجدهم وفضائلهم ، وتقلل من شأن العرب ـ وهم مادة الاسلام ـ فظهرت لنا عند ذلك الكتب الكثيرة في أخبار الفرس ، وملوكهم ، ووزرائهم ، وعقلائهم ، ومثالب العرب ٠ وانتج رد الفعل المعاكس كتبا تناولت مفاخر العرب ، وفضائلهم ، وفضلهم على العجم ، كما تناولت ايامهم ومآثرهم(١٥) ٠
١٠ ـ وفي القرن الثاني الهجري بدأت الدولة الاسلامية بالتعقد ، وازداد نفوذ السلطة الحكومية ، واصبحت تنظيمات الدولة على درجة كبيرة من الاتساع والتعقيد ، الامر الذي دفع ، من لهم صلة بهذه الناحية واهتمام بهذا الامر ، من الكتاب والمؤلفين ، الى وضع الكتب التي تبحث في الادارة بغية تسهيل مهمة الموظف الحكومي ؛ فوضعت الكتب في الادارة عموما مثل كتاب الخراج لابي يوسف القاضي ، وكتاب « الخراج وصنعة الكتابة » لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، الذي تناول في كتابه دواوين الدولة العباسية وبحثها بحثا مسهبا وبين العلاقة بين هذه الدواوين ، ودوائر الدواوين نفسها ، وكيفية العمل فيها ، وأورد نماذج من التوقيعات في تعيين موظفيها ، كما تطرق الى موضوعات كثيرة أخرى(١٦) ٠ أو انها تناولت موضوعا خاصا كالوزارة مثل كتاب « الوزراء » للثعالبي ، « والوزراء والكتاب » للجهشياري ، والقضاء مثل كتاب « أدب القاضي » لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، وكتاب « أدب القضاة » للخصاف(١٧) ، أو كتاب « روضة القضاة وطريق النجاة » لابي القاسم علي بن محمد بن أحمد السمناني الحنفي المتوفى سنة ٤٩٩هـ(١٨) الذي احتوى على معلومات مفصلة عن صفات القاضي ، وشروطه ، وأحكامه ، وكاتبه ، وبوابه ٠ كما تكلم فيه عن « صاحب الحبس » وأورد معلومات فريدة في بابها عن « ديوان الحكم » سماه « قبض ديوان الحكم وتسلمه وكيف العمل في ذلك »(١٩) ، أو في الحسبة وفيها كتب كثيرة ٠
ان هذه الكتب لا تدخل كلية في الكتب « التاريخية » اذ انها كتب « ادارية » ، اذا صح التعبير ، أكثر منها تاريخية ، على الرغم من احتوائها على حوادث تاريخية ٠ ثم انها الى جانب ذلك قليلة نسبيا اذا ما قيست بالكتب الهائلة التي وضعت في التاريخ الاسلامي بشتى الصور التي كتب بها ٠ كما ان التاليف في مثل هذه الكتب أصبح قليلا أو كاد ينعدم بعد القرن الخامس الهجري ، اذا استثنينا بعض الموسوعات التي اعتمدت في جل مادتها على الكتب الاولى مثل كتاب « صبح الاعشى في صناعة الانشا » للقلقشندي ٠

١١ – ووضعت بعض الكتب كتاريخ سياسي ، يوضح تجارب الامة ، ويدون الاحداث والوقائع الخطيرة دون أن يحوي تراجم أو يهتم بها ، الا في القليل النادر . وكانت الغاية من تاليف أمثال هذه الكتب ، تسجيل الاحداث التي تمر بها الامة الاسلامية وفائدتها البالغة لأولي الامر قال ابن الاثير : .... فاذا طالعها فكأنه عاصرهم ، واذا علمها فكأنه حاضرهم ؛ ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف من سلف ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الاموال ، وفساد الاحوال ، استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها ، واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درت ، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه ، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك .. ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا قد تقدم هو او نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لأن يقتدى به أهلا .»(٢٠) ، وأكد الكتاب المسلمون على « العبرة » و « الاتعاظ » في مثل هذه الكتب ولعل العنوان الذي وضعه الذهبي لكتابه « العبر في خبر من عبر » يصور هذا الامر احسن تصوير . وكانت الغاية من هذه الكتب السمر أيضا ؛ فهي مادة طيبة مؤنسة في المجالس ، قال ابن الاثير عند ذكره لفوائد التاريخ : .. ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ، ونقل طريفة من طرائفها ، فترى الاسماع مصغية اليه ، والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متاملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره(٢١) . ومما يصور لنا التجربة في مثل هذه الكتب تصويرا دقيقا العنوان الذي وضعه مسكويه لكتابه اذ اطلق عليه « تجارب الامم وتعاقب الهمم » .

على ان هذه الكتب وان استمرت لفترة معينة لكنها أخذت بالاضمحلال والضمور والتقلص ، وحينما سيطرت الفكرة الدينية في كتابة التاريخ مرة أخرى ، نرى هذه الكتب وامثالها تعود فيصبح فيها الاهتمام بالتاريخ السياسي أقل كثيرا من الاهتمام بالتراجم ، وهو أمر يدل على أثر علم الحديث في مثل هذا النوع من الكتب(*) .

هذه هي الخطوط العامة التي دفعت العلماء المسلمين الى الاهتمام بالتاريخ ، الى جانب العامل الاكبر ، وهو الحديث النبوي . وسنوضح فيما ياتي ان الحديث وعلومه اخترع فنونا جديدة في صور الكتابة التاريخية ، وترك أثرا عظيما في الصور الاخرى .

بقي علينا الآن ان نوضح اتجاهات الكتابة التاريخية التي لازمت

تطور علم التاريخ عند المسلمين ، ونحاول ان نوضح الصلة بين هذه الاتجاهات التي تناولناها وبين دراسة الحديث وعلومه ٠

كانت المراكز العلمية الرئيسة في صدر الاسلام هي المدينة ، والعراق ـ البصرة والكوفة ـ ، وفي هذه المراكز قامت الحركة الفكرية وانتعشت وأصبحت أساسا للدراسات التي ظهرت فيما بعد في الانحاء الاخرى من العالم الاسلامي ٠ وكان طابع الحركات الفكرية في هذه المراكز قد تأثر الى حد كبير بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ٠ ففي البصرة والكوفة مثلا كانت التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية تقوم على أساس التنظيم القبلي ؛ فقسمت البصرة الى أخماس لكل قبيلة من القبائل النازلة فيها مكان خاص بها يسمى « ربع » ٠ كما قسمت الكوفة الى أربعة أقسام حسب القبائل النازلة بها أيضا ٠ وكانت الاحوال الاجتماعية مرتبطة ارتباطا كليا بالتنظيم القبلي هذا ، كالدية والعاقلة وما الى ذلك ٠ ومن هنا بقي سكان هذه المناطق طوال القرن الاول الهجري على طبيعتهم القبلية ، ومن ثم فان دراسة التاريخ اتخذت هي الاخرى اتجاها قبليا ، فكانت استمرارا لاسلوب « الايام » عند العرب ٠ وبالطبع كانت الموضوعات التي تناولها هؤلاء العلماء ذات اتجاه مرتبط بالقبائل بالدرجة الاولى ؛ ولذلك اهتموا بأخبار القبائل ، وأيامها ، وانسابها ، وشعرائها وكل ما يتعلق بها ويدور حولها ٠ واتسمت الكتابات في هذين المصرين ـ البصرة والكوفة ـ بنوع من الاختصاص ، فظهر كتاب اختصوا بالاخبار ، أو الانساب ، أو الشعر ، أو اللغة وهلم جرى ٠

وغالبا ما كانت الاخبار في القرن الاول الهجري تروى شفاها يتناقلها الرواة بعضهم من بعض ، دون تدوين لها في الاغلب الاعم ٠ كما ان « الاختصاص » الذي ذكرناه في الاخبار أو الانساب أو الشعر أو اللغة كان يتداخل في بعض الاحيان ؛ فنجد الرواة يتناولون موضوعات هي ، في الحقيقة ، مكملة لمواضيعهم متممة لها ، فلابد لراوية الاخبار مثلا ان يتعاطى الشعر أو يرويه ، أو يستعمل اللغة لتوضيح بعض الغريب في الخبر أو الشعر الذي يرويه ٠ ومن مؤرخي هذه المدرسة خاصة عوانة بن الحكم المتوفى سنة ١٤٣ هـ(٢٢) ، وأبو مخنف لوط بن يحيى « ت ١٥٧ » (٢٣) وسيف بن عمر « ت ١٨٠ هـ »(٢٤) ونصر بن مزاحم المنقري « ٢١٢ هـ »(٢٥) وعلي بن الحسن المدائني « ت ٢٥٢ هـ »(٢٦) وغيرهم ٠

كانت هذه المدرسة بعيدة نسبيا عن تأثيرات علم الحديث في البداية ، لكنه أثر عليها أثرا واضحا في اضطرارها الى أخذ الاسناد ٠ ومن ثم يضاف الى ذلك انها أخذت تضمحل وتضمر أمام مدرسة المدينة التي قامت على الحديث ودراساته ، وأخذت الاخيرة تضم تحت جناحها معظم الصور التي كتب بها التاريخ الاسلامي ٠ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يلاحظ ان علم الحديث بدأ الى جانب اثره في الاسناد يؤثر على طريقة عرض الرواية عند

هذه المدرسة ، بله واصبح كثير من هذه الاخبار يدخل ضمن الكتب التي وضعت لتكون من كتب « اللغة » و « الادب » اكثر من دخـولها في كتب « التاريخ » • ويبدو هذا الامر اكثر وضوحا وانجلاء في كتب الاسمار ، والمجاميع، مثل « عيون الاخبار » لابن قتيبة الدينوري وبعض كتب الجاحظ وكتاب « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي وغيرها • والحق ان هذا النوع من الكتب نفسه تطور فيما بعد ، واصبح يحتوي على « تراجم » بشكل اكثر مما كان عليه ، وهو بحد ذاته مظهر آخر من مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين •

المغـازي :

ونشأ الاتجاه الآخر في الكتابة التاريخية وتطور في المدينة ، وظهر بأول صوره على شكل « مغازي » الرسول (ص) ، والتي لم تكن في الواقع تتناول غزواته فقط ، انما امتدت لتشمل حياته كلها • ولست أبغي هنا ان اتكلم على المغازي ومؤلفيها ، وطبيعتها ، وأهميتهـا في دراسة عصر الرسالة(٢٧) ، لكني سأتناول الموضوع من جانب واحد ، هو علاقة الحديث بكتابة المغازي •

ولعلنا في تتبعنا الاسباب التي دفعت كتاب المغازي الى الاهتمام بها ، والاساليب التي كتبت بها ، وطبيعة ما تضمنته من اخبار ، يلقي بعض الضـوء على هذه العلاقة التي نحن بصددها ، ويقودنا الى تبيان الاتصال بصورة اكثر وضوحا ، وأوضح انجلاء ، ومن ثم أقرب الى الواقع •

١ ــ جاء القرآن الكريم وفيه الكثير من الاحكام التي تنظم الحياة الانسانية ، والاخروية ، لكنه جاء في بعض الاحيان شاملا وفيـه نوع من التعميم ، كما انه اضافة الى ذلك لم يتناول كل مظاهر الحياة الصغيرة والكبيرة ، ولذلك اعتبرت أقوال الرسول(ص) واعماله والامور التي أقرها، وهي السنة ، الاساس الثاني في التشريع الاسلامي ، ومن ثم كان الاهتمام باقوال الرسول (الحديث) وحياته واعماله وما جرى في زمانه من غزوات وحروب (السيرة)(٢٨) •

٢ ــ وفي الوقت نفسه ، كانت اقوال الرسول واعمـاله هي المثل الاعلى للدين الاسلامي في جميع نواحيه الروحية والمادية ، فكان لا بد من جمعها وروايتها ، ثم تدوينها ، للاقتداء بها ، والسير على خطاها •

٣ ــ ولا مراء في أن الرسول (ص) هو المبعوث بالحق من الله هدى ورحمة للعالمين ، وهو الذي اختاره الله من بين كل هذه البشرية ليكون المبلغ لرسالته السماوية ، والمبين لهداه وصراطه المستقيم • ثم هو اكرم الخلق وأحبهم الى الله تعالى ، لذلك فان المسلمين حينما يتحدثون عن الرسـول

وأقواله وافعاله ، كانوا يشعرون بالفخر والاعتزاز .

٤ ـ وكان الذي يروي حديث رسول الله (ص) واعماله وافعاله ، ويسرد سيرته الزكية ينال احتراما كبيرا ، وتبجيلا كثيرا عند مستمعيه ، وهو في الغالب ذو مكانة مرموقة عند العام والخاص . ومن هنا لاحظنا ان أبناء الصحابة ساهموا مساهمة كبيرة في المغازي حتى كادت تقتصر عليهم ، وقلما دخل فيها أحد غيرهم . والواقع ان اتصـال هؤلاء بآبائهم ، واتساع معلومات الآباء جراء اتصالهم بالرسول (ص) ، قد سهل عليهم الكثير من العناء في معرفة حياة الرسول الكريم (ص) . هـذا الى جـانب ان ابناء الصحابة واحفادهم قد عاشوا في بيئة كانت مملوءة بمثل هذه الاحاديث والاخبار .

٥ ـ ولا يخفى على القارىء ماكان لمن اشترك مع الرسول (ص) في غزواته ، واعماله ، وفعالياته ، من المنزلة الاجتماعية المرموقة عند المسلمين عامة ؛ ومن هنا كان اظهار اعمال هؤلاء الاشخاص ومساهمتهم في الدعوة الاسلامية ، وتثبيت اركان الاسلام ، وارساء قواعـده ، أمورا تجعل من اسلافهم يبحثون وينقبون ، ومن ثم يروون ، عن هذه المآثر الطيبة ، رفعا لمكانتهم الاجتماعية ، وتدعيما لمراكزهم التي يتمتعون بها عند الناس ، وتمييزا لهم عن بقية المسلمين . هذا الى جانب من كان يحاول اظهار مركز عائلته ودورها الكبير الذي لعبته في عصر الرسالة ، لاغراض أخرى ؛ من مركز ، او سلطان .

٦ ـ ولم يكن الرسول وحده قدوة للناس ، انما اصبح الصحابـة رضى الله عنهم ، هم الآخرون بدورهم قدوة يقتدى بهم ، ومثلا يحتذى . ومن هنا لاحظنا دخول الكثير من اعمال الصحابة في اطار « المغازي » أو « السيرة » ، ومن ثم اعتبرت احاديثهم وفتاواهم وأعمـالهم في كثير من الاحيان جزء لايتجزأ من السنة .

٧ ـ والى جانب التشريع ، كان التنظيم الاداري في العصر الاموي ، ومحاولة تثبيت الانظمة الراسخة للدولة الاسلامية من العوامل الاساسية التي أدت الى الاهتمام بالسنة ككل والحديث بصورة خاصة ؛ فكان الخلفاء مثلا يتوجهون بالاسئلة لمن عرف بعلمه في هذه الامور ليجيب عليها ؛ فقد طلب عبد الملك بن مروان ايضاحا لبعض الامـور من عروة بن الزبـير « ت بين ٩٥ ـ ١٠٥ هـ » ، كذلك فعل الوليد بن يزيد بواسطة احد رجال بلاطه ،وهو ابن ابي هنيدية(٢٩) .ولا يغرب عن بالنا اهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالتنظيمات الادارية ومحاولاته في هذا المجال ، ولعل طلبه الذي وجهه الى عامله على المدينة ابن حزم هو خير ما يصور ما ذهبنا اليه . وأمر خالد بن عبدالله القسري عامل العراق محمد بن شهاب الزهري ان يكتب له السيرة(٣٠) . كل هذه الامور ، يضاف اليهـا المتعة الزائدة بالاستماع الى اخبار الرسول (ص) واقواله ، قد أدت ، ولا شك ، الى الاهتمـام العظيم

واقواله وافعاله ، كانوا يشعرون بالفخر والاعتزاز .

٤ ـ وكان الذي يروي حديث رسول الله (ص) واعماله وافعاله ، ويسرد سيرته الزكية ينال احتراما كبيرا ، وتبجيلا كثيرا عند مستمعيه ، وهو في الغالب ذو مكانة مرموقة عند العام والخاص . ومن هنا لاحظنا ان أبناء الصحابة ساهموا مساهمة كبيرة في المغازي حتى كادت تقتصر عليهم ، وقلما دخل فيها أحد غيرهم . والواقع ان اتصـال هؤلاء بآبائهم ، واتساع معلومات الآباء جراء اتصالهم بالرسول (ص) ، قد سهل عليهم الكثير من العناء في معرفة حياة الرسول الكريم (ص) . هـذا الى جـانب ان ابناء الصحابة واحفادهم قد عاشوا في بيئة كانت مملوءة بمثل هذه الاحاديث والاخبار .

٥ ـ ولا يخفى على القارىء ماكان لمن اشترك مع الرسول (ص) في غزواته ، واعماله ، وفعالياته ، من المنزلة الاجتماعية المرموقة عند المسلمين عامة ؛ ومن هنا كان اظهار اعمال هؤلاء الاشخاص ومساهمتهم في الدعوة الاسلامية ، وتثبيت اركان الاسلام ، وارساء قواعـده ، أمورا تجعل من اسلافهم يبحثون وينقبون ، ومن ثم يروون ، عن هذه المآثر الطيبة ، رفعا لمكانتهم الاجتماعية ، وتدعيما لمراكزهم التي يتمتعون بها عند الناس ، وتمييزا لهم عن بقية المسلمين . هذا الى جانب من كان يحاول اظهار مركز عائلته ودورها الكبير الذي لعبته في عصر الرسالة ، لاغراض أخرى ؛ من مركز ، او سلطان .

٦ ـ ولم يكن الرسول وحده قدوة للناس ، انما اصبح الصحابـة رضى الله عنهم ، هم الآخرون بدورهم قدوة يقتدى بهم ، ومثلا يحتذى . ومن هنا لاحظنا دخول الكثير من اعمال الصحابة في اطار « المغازي » أو « السيرة » ، ومن ثم اعتبرت احاديثهم وفتاواهم وأعمـالهم في كثير من الاحيان جزء لايتجزأ من السنة .

٧ ـ والى جانب التشريع ، كان التنظيم الاداري في العصر الاموي ، ومحاولة تثبيت الانظمة الراسخة للدولة الاسلامية من العوامل الاساسية التي أدت الى الاهتمام بالسنة ككل والحديث بصورة خاصة ؛ فكان الخلفاء مثلا يتوجهون بالاسئلة لمن عرف بعلمه في هذه الامور ليجيب عليها ؛ فقد طلب عبد الملك بن مروان ايضاحا لبعض الامـور من عروة بن الزبـير « ت بين ٩٥ ـ ١٠٥ هـ » ، كذلك فعل الوليد بن يزيد بواسطة احد رجال بلاطه ،وهو ابن ابي هنيدية(٢٩) .ولا يغرب عن بالنا اهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالتنظيمات الادارية ومحاولاته في هذا المجال ، ولعل طلبه الذي وجهه الى عامله على المدينة ابن حزم هو خير ما يصور ما ذهبنا اليه . وأمر خالد بن عبدالله القسري عامل العراق محمد بن شهاب الزهري ان يكتب له السيرة(٣٠) . كل هذه الامور ، يضاف اليهـا المتعة الزائدة بالاستماع الى اخبار الرسول (ص) واقواله ، قد أدت ، ولا شك ، الى الاهتمـام العظيم

بأعماله وأقواله وفعالياته وكافة الامور المتعلقة به وبأصحابه .

وبعد ان بينا الدوافع التي أدت الى الاهتمام بحياة الرسول ، وحاولنا أن نقدم لذلك صورة ، نأمل أن تكون على شيء من الوضوح ، ننتقل الى أمر آخر لا يقل في أهميته عما تكلمنا عليه قبل قليل ، وهو المادة التي كونت « المغازي » ، والشكل الذي وضعت فيه واتحدته . وهو أمر سيحتم علينا القاء نظرة عجلى على كتاب المغازي وصلتهم بالحديث .

فأول ما ظهرت كتابة المغازي في المدينة كانت متصلة اتصالا وثيقا بدراسة الحديث[٣٢] ، ولم تكن في الواقع الا جزء من هذه الدراسة ـ أي دراسة الحديث ـ ، ويبدو ذلك أكثر جلاء ووضوحا حينما يستعرض الباحث كتابها والمشتغلين بها . وأول محاولة من هذا النوع كانت محاولة ابان بن عثمان بن عفان[٣٣] ، الذي كان محدثا قبل ان يبدي اهتماما بالمغازي . ولم تصلنا من كتابات ابان في المغازي الا اشارة اشار اليها اليعقوبي ٣٣ ، وخبر آخر يتعلق بمعاوية بن ابي سفيان[٣٤] . وقد روت كتب الصحاح كثيرا من الاحاديث عن ابان . وأشار ابن سعد الى مغازي ابان بن عثمان بن عفان في ترجمة المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام فقال . قال محمد بن عمر (الواقدي) خرج المغيرة بن عبدالرحمن الى الشام غير مرة غازيا ، وكان جيش مسلمة الذين احتبسوا بارض الروم حتى اقفلهم عمر بن عبدالعزيز ، وذهبت عينه ، ثم رجع الى المدينة فمات بالمدينة ... وقد روى عنه ، وكان ثقة قليل الحديث الا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من ابان بن عثمان ، فكان كثيرا ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها[٣٥] وذكر ابن سعد في ترجمة ابان بن عثمان انه كان ثقة يروي الحديث[٣٦] وذكره البخاري في تاريخه وذكر انه سمع من والده عثمان بن عفان ، وروى عنه الزهري[٣٧] وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب وذكر أنه روى عن أبيه ، وزيد بن ثابت ، واسامة بن زيد . وروى عنه ابنه عبدالرحمن ، وعمر بن عبدالعزيز ، وابو الزناد ، والزهري ، ونبيه بن وهب وغيرهم . ونقل ابن حجر عن عمرو بن شعيب انه قال : ما رأيت اعلم بحديث ولا فقه منه . وعده يحيى القطان من فقهاء المدينة . وقال العجلي ثقة من كبار التابعين ٣٨ . وهكذا فقد كان أبان محدثا وفقيها . قادته هذه العلوم الى الاشتغال بالمغازي كجزء من عمله هذا في الحديث والفقه .

أما عروة بن الزبير بن العوام « ت ٩٤هـ » فيقول حاجي خليفه انه أول من ألف في المغازي[٣٩]. وقد وصلتنا بعض من مغازيه مبثوثة في الكتب التي نقلت عنه . كان عروة بن الزبير محدثا ، وقد روت له كتب الصحاح عددا كبيرا من الاحاديث ، وقلما نجد بابا من ابواب الحديث في هذه الكتب ولا نجد لعروة حديثا فيه . ومعظم هذه الاحاديث رويت عن طريق ابنه هشام[٤٠] والاسناد الذي يتكرر في كتب التاريخ والحديث هو :

هشام عن عروة عن عائشة .

وكان عروة يهتم اهتماما بالغا بالحديث ، وكان يعتز بمعرفته هذه . روى ابنه هشام عنه انه قال : يا بني سلوني فلقد تركت حتى كدت أن أنسى ، واني لاسأل عن الحديث فيفتح حديث يومي(٤١) .ووصف الزهري عروة بانه « بحر لا ينزف »(٤٢) . وقال ابنه هشام : والله ما تعلمنا منه جزء من الفي جزء من احاديثه(٤٣) وهو أمر يدل على سعة اهتمامه بالحديث الذي كان يطلق عليه « العلم » قال : تعلموا العلم تسودوا بـــه قومكم ويحتاجوا اليكم(٤٤) . وكان عروة تقيا ورعا زاهدا . روى ابنه هشام ان اباه كان يصوم الدهر كله الا يوم الفطر ويوم النحر ، ومات وهو صائم(٤٥) ، كما انه لم يلعب دورا في الحياة السياسية وظل معتزلا ويبدو ذلك من النص الذي أورده ابن سعد قال : اخبرنا اسماعيل بن عبدالله بن ابـــي أويس ، قال : حدثني أبي ، عن عبدالله بن حسن انه قال : كان علي بن حسين بن علي بن ابي طالب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبـــير في مؤخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العشاء الآخرة ، فكنت اجلس معهما ، فتحدثنا ليلة فذكر جور من جار من بني امية والمقام معهم ، وهم لا يستطيعون تغيير ذلك ، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة اللـــه لهم ، فقال عروة لعلي : يا علي ! ان من اعتزل اهل الجور والله يعلم منـــه سخطه لاعمالهم فان كان منهم على ميل ثم اصابتهم عقوبة الله رجي له أن يسلم مما اصابهم ، قال : فخرج عروة فسكن العقيق(٤٦) .

والواقع ان الذي يجمع النصوص التي وردت عن عروة بن الزبـــير ، ويلقي عليها نظرة فاحصة يجدها في الاعم الاغلب ، احاديث مرتبة بشكل مترابط يكون وحدة موضوعية متماسكة متجانسة ، ومن هنا يتضح لنا ان دراسة المغازي ما هي في الواقع الا تفرع جديد للاحاديث النبويـــة ، تطورت فيما بعد ودخلت فيها رواية الاحداث المتعلقة بالرسول والصحابة ومن عاصرهم . وحتى هذه الاخيرة فانها ظلت تروى وتدون بطريقة أهـــل الحديث ، اي استعمال الاسناد ، واقامة النقد عليه .

لقد اكتملت هذه الخاصية في دراسة المغازي بظهور شخصية عظيمة ساهمت بشكل واسع في دراستها ، هو محمد بن مسلم الزهري المتوفـــى سنة ١٢٤هـ ، الذي اعتمد على عروة بن الزبير كثيرا في هذا المجال ، وأخذ الزهري علمه من أعظم المحدثين في زمانه أمثال سعيد بن المسيب ، وابان بن عثمان ، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة ، وعروة بن الزبير وغيرهم .

وكتب الدكتور الدوري بحثا مسهبا عن الزهري(٤٧) ، اثبت فيـــه اثباتا لا يقبل الشك ان الزهري « قام ببحث واسع عن روايات المدينـــة وأحاديثها ، وكتب ما كان يسمع ليعين ذاكرته . وقد محص تلك الروايات ووضعها في اطار متين واضح . ودراسة رواياته التي وصلتنا تجعلنا نميل الى أنه كان أول من أعطى « السيرة » ــ وهو التعبير الذي استعمله ــ هيكلا

محدودا ورسم خطوطها بوضوح • وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن قبل الاسلام والتي تتصل بحياة النبي محمد (ص) • ثم يتناول النواحي الهامة من الفترة المكية من حياة الرسول ، ثم الهجرة الى المدينة ، ويتناول المغازي وفتح مكة ، وبعض السفارات التي ارسلها الرسول والوفود التي قدمت عليه ، ويتحدث عن فعاليات أخرى للرسول ثم مرضه وانتقاله من هذه الحياة • وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة وأعطى تواريخ الحوادث المهمة •

وقد أخذ الزهري جل مواده عن السيرة من الحديث ، ولا نجد الا أثرا بسيطا للقصص فيما كتب ، كما اننا نجد صدى ضعيفا في مادته لقصص الانبياء التي اهتم بها كما يبدو • ومع ان الزهري كان يحب الشعر مثل أبناء عصره ، بل كان ضنينا في الشعر ، الا ان استعماله له محدود في مغازيه ، فهو بعيد عن اسلوب الايام في كتابته •(٤٨) وبهذا رد الدكتور الدوري على النظرية القائلة بان اصول المغازي ترجع الى القصص الشعبي(٤٩) وابان خطلها ، واثبتت في دراسته المستفيضة تلك الى انها ترجع الى الدراسات الاصيلة التي قام بها المحدثون وتلامذتهم •

وحينما انقضى جيل الزهري ظهر تلامذته الذين ساروا على المنهج الذي وضعه علماء المدينة المحدثون في كتابة المغازي ، ومن هؤلاء موسى بن عقبة بن ابي عياش الاسدي المتوفى سنة ١٤١هـ(٥٠) • وقد وجدت قطعة من مغازيه في المكتبة الرسمية البروسية ترجمها الى الالمانية الاستاذ ادورد سخاو • والذي نلاحظ من دراسة النصوص التي وردتنا عن موسى بن عقبة تأكيده على الاسناد ، وهو امر يعكس الى حد ما اهتمام المحدثين بالاسناد ابان هذه الفترة ، كما انه يفسر بنفس الوقت تأثير الحديث على التاريخ • والواقع ان موسى في مغازيه اعتمد كثيرا على الزهري ، ولكنه في الوقت نفسه أضاف معلومات جديدة ومهمة ، كما أنه استعان ببعض المدونات ، ومن المحتمل أنه استعان بالكتب التي تركها استاذه الزهري ، والتي روي انها كانت كثيرة جدا(٥١) •

ثم نجد بعد ذلك ظهور شخصية فذة في تاريخ المغازي ، هي شخصية محمد بن اسحاق بن يسار مولى عبدالله بن قيس بن مخرمة بن المطلب المتوفى سنة ١٥١هـ/(٥٢) وهي شخصية اثارت الكثير من المناقشات قديما وحديثا دارت حول صحة المعلومات الواردة في السيرة عموما(٥٣) ، لاسيما وان الشكل الذي وضعه ابن اسحاق لم يصلنا ، بما الذي بين ايدينا هو تهذيب وضعه ابن هشام ، وقطعه من كتاب ابن اسحاق الاصلي •

ولا نعرف بالضبط ما حذفه ابن هشام عندما هذب السيرة ، على أنه في المقدمة التي كتبها لهذا التهذيب قد بين خطته في الحذف والعرض ، قال : وانا ان شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم ، ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لاصلابهم ،

الاول فالاول ، من اسماعيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل ، على هذه الجهة ، للاختصار ، الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار، واشعارا ذكرها لم ار احدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقص ان شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به ».(٥٤)

ويرى الاستاذ يوسف هوروفتس ان ابن اسحاق قد ألف كتابه في ثلاثة أقسام هي المبتدأ ، والمبعث ، والمغازي(٥٥) ، على أن الدكتور الدوري يرى انهما كانا كتابين مستقلين احدهما في المبتدأ والاخر في السيرة . وتبدو الادلة التي اوردها في بحثه عن محمد بن اسحاق قوية ومقنعة الى حد بعيد خاصة بعد ان درس قطعة منتقية من سيرة ابن اسحاق الاصلية(٥٦) ، وكان الاستاذ العابد الفاسي قد ذكرها في مقالته عن « خزانة القرويين ونوادرها ، وذكر انها تشمل الاجزاء ٢ و ٣ ، ٤ ، ٥ كتبت سنة ٥٠٦هـ ، عليها عدة سماعات نقلت من الاصل المنتسخ منه (٥٧) . وقدم لنا الدكتور الدوري مقارنة طريفة بين تهذيب ابن هشام والاجزاء الباقية من سيرة ابن اسحاق ، من ناحية الشعر والروايات الاخرى(٥٨) ، وهي امور تلفت النظر وتستحق الاهتمام بشكل اكبر .

ويبدو ان خروج محمد بن اسحاق عن اسلوب المحدثين من أهل المدينة ، بتناوله « المبتدأ » في دراسته والتطرق الى امور ، هي خارج حدود الحديث النبوي ، بعيدة عن نطاقه ، قد اثار عليه سخطا كبيرا عند علماء عصره من أهل الحديث خاصة . وانت ان تمعنت في التهم التي وجهت لابن اسحاق تجدها تدور في هذا الاطار ، وان زيد فيها بعض الاحيان ، أو اتخذت اشكالا خفية أخرى ، ثم تناولتها ايدي المتأخرين المتأثرين بمدرسة المدينة ، وربما زادوا عليها بعض الشيء . وتجد هذه الاتهامات مبثوثة في الكتب التي ترجمت له ، وحاول ابن سيد الناس » ت ٧٤٣هـ»(٥٩) في كتابه « عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير » أن يجمع هذه التهم(٦٠) ، ويرد عليها(٦١) ومع كل ذلك فقد مدحت « مغازيه » مدحا زائدا ، فقد روى عن الزهري انه قال . من اراد المغازي فعليه بمولى قيس بن مخرمة هذا(٦٢) . وقال الشافعي من أراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق(٦٣) ، كما أوصى بالاخذ منها(٦٤) . ويبدو مما ذهبنا اليه ان أهل الحديث ــ أهل المدينة ــ حاربوه وجانبوه ، اكثر وضوحا في عبارة ياقوت الحموي حينما يقول : « وأصحاب الحديث

يضعفونه ، ويتهمونه »(٦٥) ، ومن هنا تبدو الدلالة واضحة ، فالهجوم العنيف الذي لاقاه ابن اسحاق من مالك بن انس وهشام بن عروة وغيرهما من علماء المدينة ، ثم من الكتاب الاخرين كالخطيب البغدادي ، والذهبي ، ممن عرف عنهم شدة التعصب لاهل الحديث ، كلها امور تشير صراحة الى خروجه عن اطار هذه المدرسة التي سيطرت على كتابة « المغازي » حتى ذلك العصر ، ولم يدخل بين ظهرانيهم أي واحد ينافسهم ، أو يغير في منهجهم، واسلوبهم ، وما تعودوا عليه ، فمجيء ابن اسحاق وتقديمه لونا جديدا من المغازي لم يألفه أهل المدينة ، ولا يقوم كله على الحديث، أثار سخطا واسعا عليه ؛ فوجهوا اليه بالتهم الكثيرة ، كان منها الحق ، وكان الكثير منها باطلا ، وهو أمر يستعمله الخصم دائما للتقليل من شأن خصمه وتأليب الناس ، او العامة ، عليه . والا فالتهم التي وجهت لابن اسحاق كالرواية عن المجاهيل ، واهل الكتاب .. الخ كان الواجب أن توجه أيضا الى محمد بن جرير الطبري الذي ضمن الكثير من هذا تفسيره وتاريخه ، وقل مثل هذا عن ابن الاثير وابن كثير الدمشقي ، وكلهم كتبوا في المبدأ ، وكلهم رووا عن أشخاص ضعفهم أهل الحديث .

لقد كانت صدمة قوية لاهل المدينة ذلك الذي قام به ابن اسحاق ، لكنه قدم مادة ظلت تتناقلها امهات الكتب ، ولم تجد في أغلب الاحيان خيرا منها تنقدمها وتعتمد عليها ، فكانوا يشتمونه ويتقلون عنه في الوقت نفسه .

وظهر هذا الكره الشديد الذي اضمره اهل المدينة لابن اسحاق في الكتاب الذي وضعه الواقدي « ت ٢٠٧ »(٦٦) والذي كان بلسما لجراح أهل المدينة من محمد بن اسحاق ، فحاول الواقدي ، جهد طاقته ، الرجوع في كتابه « المغازي » الى اسلوب أهل المدينة نفسه ، وهو اسلوب المحدثين ، فكتب مغازيه على هذه الصورة ، ولهذه الغاية ، ولم يجعلها في اطارها تخرج عن الفترة المدنية ، كما انه استعمل الاسناد بشكل اكثر دقة ، كما انه أورد اشعارا قليلة جدا بالمقارنة مع ما أورده ابن اسحاق ، وكان متحوفا دقيقا عند ايراده للشعر ، وكأنه يشعر بالهجوم العنيف الذي لقيه ابن اسحاق ، فكان يخلص نفسه ويوثق شعره بعبارات يوردها لهذا الغرض نحو قوله : « ما رأيت من اصحابنا احدا يدفعه » أو « سمعت أصحابنا يثبتونها »(٦٧) . ولم ينقل الواقدي عن محمد بن اسحاق ، وقدم لنا بذلك مثلا جليا لمقاطعة مدرسة المدينة لابن اسحاق وعدم الاخذ منه .

لقد استقرت كتابة المغازي عند ابن اسحاق ، ومن جاء بعده كان عيالا عليه ، لم يزد سوى الترتيب والتبويب ، وفي بعض الاحيان التعليق على بعض الحوادث ، سواء اعتبروا أنفسهم مصنفين أم مهذبين كما فعل ابن هشام مهذب سيرة ابن اسحاق « ت ٢١٨هـ » ، أو عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أصبغ بن الحسين الامام السهيلي الاندلسي صاحب كتاب « الروض الانف » والمتوفى سنة ٥٨١هـ ، وقطب الدين عبدالكريم الجماعيلي

المتوفى سنة ٧٥٣هـ ، ام اعتبروا أنفسهم « مؤلفين » وان لم يعرف لهم في كتبهم سوى التبويب والترتيب وبعض التعاليق ، فوضعوا كتبا في السيرة النبوية كما فعل ابن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥ ومحمد بن علي بن يوسف الشافعي الشامي المتوفى سنة ٦٠٠هـ وغيرهم كثير .

ونحن حينما نقدم هذا العرض البسيط الوجيز لم تكن غايتنا الا القاء نظرة سريعة على أصول المغازي وعلاقتها من حيث النشأة والتطور بالحديث النبوي الشريف . وانك ان امعنت النظر بالنصوص السالفة قد تستطيع ان تلاحظ ، ان كتاب المغازي كانوا محدثين قبل أن يكونوا مؤرخين ، وان اهتمامهم بالحديث ودراسته وروايته هو الذي دفعهم الى الاهتمام بالمغازي كجزء من الحديث وروايته ، وحتى حينما اطلق لفظ « السيرة » لتكن اوسع شمولا ظل الحديث الركن الركين والدعامة الاساسية في تكوين المادة التاريخية للسيرة النبوية الزكية . وهكذا كانت متصلة بالحديث ، بل هي جزء منه ، نشأت نشوئه وتطورت على هذا الاساس ، ولعل خير دليل يثبت ما ذهبنا اليه الهجوم العنيف الذي لقيه ابن اسحاق حينما حاول تعدي اطار هذه المدرسة والخروج على تقاليدها .

المحدثون المؤرخون :

لم يكتف هؤلاء الكتاب ومن جاء بعدهم بتأليف الكتب في المغازي ، او حياة الرسول (ص) عموما ، انما تعدوا ذلك ، وتوسع أفقهم وامتد ، فوضعوا كتبا تناولت تاريخ الخلفاء الراشدين ، وفتوحهم ، واعمالهم ، والاحداث المهمة التي كانت في عصرهم ، والخلفاء الذين جاءوا بعدهم ، فابن اسحاق مثلا كان قد وضع كتابا في « تاريخ الخلفاء »[٦٨] ، وتناولت دراسات الزهري من قبله تاريخ الخلفاء الراشدين أيضا ، وكتب الواقدي في موضوعات شتى من التاريخ ، فوضع في الفتوح ، مثل كتاب « فتوح الشام » وكتاب « فتوح العراق » ، كما وضع كتابا في أخبار مكة ، وألف في تاريخ الراشدين مثل كتاب « سيرة ابي بكر ووفاته » ، وكتاب « مداعي قريش والانصار في القطائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وانسابها » ، وكتبا في الاحداث الاسلامية المهمة مثل كتاب«السقيفة وبيعة ابي بكر » ، وكتاب « الردة » وكتاب « الجمل » وكتاب « صفين » وكتاب « مقتل الحسين » . وفي الوقت نفسه الف كتبا عامة في التاريخ الاسلامي مثل كتاب « التاريخ الكبير » ، كما تذكر له كتب في التراجم مثل « تاريخ الفقهاء » وكتاب « الطبقات » ، هذا الى جانب كتبه في الحديث مثل كتاب « غلط الحديث » ، وكتاب « السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخوارج في الفتن » ، وتناولت كتبه التي وضعها في الفقه امورا شتى متنوعة[٦٩] .

ومن هنا نرى ان الواقدي كان ذا أفق واسع لم تقتصر دراسته على الامور المتعلقة بالحديث أو الفقه أو الدين عموما ، انما استطرد وتوسع فشملت كتبه وتآليفه موضوعات كثيرة تناولت احوال الدولة الاسلامية ، من المحتمل انها امتدت الى عصره .

ونحن ، في الواقع ، اذا ما دققنا النظر ببعض الرواة والمؤرخين نستطيع أن نتلمس بسهولة ويسر اهتمامهم بالجانبين ، الحديث والتاريخ . ولا يخفى ان دراسة الحديث هي من مقومات الثقافة العامة في العصور الاسلامية ، فكان لابد ، على الاغلب الاعم ، ان يتجه الطالب أول ما يتجه وهو لما يزل في عهد الصبا والشباب نحو دراسة القرآن والحديث وعلومهما، ثم يطلب التاريخ بعد ذلك . فيغمسه في ضبط الحديث ، فاذا ما تعمق فيه ، وأصبح متمكنا منه ، مسيطرا عليه ، قادرا على فهم غوامضه ، ووجد هوى في نفسه ، اتجه تفكيره عندئذ تجاه هذه الناحية فينصرف اليها أو يكاد ، ويبلغ من أمره ان يقل تبعا لذلك اهتمامه بالحديث وروايته ودراسته ، فيصبح حينئذ الاصل فرعا والفرع اصلا . وهذه ، لا ريب ، هي الحال بالنسبة لعدد ليس بالقليل من الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي ، سواء أكانوا قد كتبوا ليستعينوا على الحديث ، أم رغبة دفعتهم ، وانسا أخذ بمجامع قلوبهم لسماع الاخبار ورواياتها ، أم فخرا بمعرفتها وارضاء لمن يحب هذا النوع من العلم ويهواه ، وهاك بعض النماذج التي تثبت هذا الرأي وتوضحه :

فاسماعيل بن عياش بن سليم العنسي الحمصي المتوفى سنة ١٨١هـ كان ممن اشتهر برواية الحديث ، وروى عن أئمة هذا العلم ، كالاوزاعي ، وابن جريج ، ويحيى بن سعيد الانصاري ، وموسى بن عقبة ، وسفيان الثوري ، والاعمش وغيرهم . وكان من أعاظم حفاظ الحديث . قال أحمد بن حنبل لداود بن عمرو الضبي : هل كان اسماعيل يحدثكم .. من حفظه ، فقال له : نعم ما رأيت معه كتابا قط ، فقال له : لقد كان حافظا ، كم كان يحفظ ؟ قال شيئا كثيرا ، فقال له : كان يحفظ عشرة آلاف ، فقال عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف ، فقال أحمد : كان هذا مثل وكيع . وقال أحمد بن حنبل أيضا : ليس أحد أروى لحديث الشاميين من اسماعيل ابن عياش(٧٠) . وروى له الطبري في تاريخه(٧١) .

وكان الوليد بن مسلم الاموي الدمشقي المتوفى سنة ١٩٥هـ(٧٢) ، عالم الشام في عصره ، روى عن اعلام المحدثين مثل حريز بن عثمان ، وصفوان ابن عمرو ، والاوزاعي ، وابن جريج ، وابن عجلان ، وابن أبي ذئب ، وسعيد بن عبدالعزيز ، والثوري ، وعبدالله بن العلاء بن زبر ، وزهير ابن محمد التميمي ، وخالد بن يزيد بن صبيح ، وشيبان النحوي ، وخلق كثير . وروى عنه أعلام أئمة الحديث ، كأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهوية ، وعلي بن المديني ، وابو خيثمة ، واسحاق بن منصور الانصاري ،

وصدقة بن المفضل المروزي(٧٣) واصرابهم . ووضع كتبـــا كثيرة بلغت سبعون كتابا . ووضع الى جنب ذلك كتابا في المغازي قال عنه ابو زرعة الرازي : كان الوليد أعلم من وكيع بامر المغازي(٧٤) . وروى له الطبري في تاريخه(٧٥) .

ومن مشاهير الرواة والمحدثين محمد بن بشار بن عثمان بن كيسـان العبدي البصري، أبو بكر المعروف ببندار(٧٦) المتوفى ببغداد سنة ٢٥٢هـ(٧٧) كان من المشاهير القلائل في رواية الحديث .

روي انه ولد سنة ١٦٧هـ(٧٨) . ونشأ في البصرة ، ولم يخرج مـن البصرة في طلب الحديث اكثر عمره ، فلم نجد له ذكرا في البلدان الاخرى غير بغداد(٧٩) وربما بعض المناطق القريبة الاخـــرى . وكانت والدتــه لا تستطيع فراقه ولهذا لم يسافر برا بها وحبا لها . سمع ابن بشـار من محمد بن جعفر غندرا ، ومحمد بن أبي عـدي ، وعبدالوهاب الثقفي ، ووكيع بن الجراح ، وعباد بن موسى ، وعبدالرحمن بن مهدي ، ويحيى ابن سعيد القطان ، وخالد بن الحارث ، وروح بن عبادة . وروى عنـه ابراهيم ابن اسحق الحربي ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، وعبدالله بن أحمد بن حنبل ، وعبدالله بن محمد بن ياسين ، والقاسم بن زكريا المطرز ، وعبد الله بن محمد البغوي ، ومحمد بن اسماعيل البصلاني ، وابو بكر بن ابي داود ، ويحيى ابن محمد بن صاعد ، وغيرهم . وأخذ عنه الحديث وهو لـما يزل شابا لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره(٨٠) ، وذكر ابو داود انه كتب عن بندار نحوا من خمسين الف حديث(٨١) ، وذكر ابن حجر ان البخاري روى له خمسة ومائتين حديثا، وروى عنه مسلم ستين واربعمائة حديثا(٨٢)، ويبدو أنه كتب الكثير من احاديثه ، ويبدو ذلك من اعتذار الخطيب عنه حينما قال : بندار وان كان يقرأ من كل كتاب ، كان يحفظ حديثه(٨٣) .

روى الطبري أحاديث واخبارا عن محمد بن بشار في « المبتدأ » فروى عنه في بدء خلق العالم(٨٤) ، وخلق الليل والنهار(٨٥) والقمر(٨٦) ، وكيفية خلق آدم(٨٧) وخبرا عن اخراج آدم من الجنـــة ونزوله الى الارض(٨٨) ، وقابيــل وهابيـل والنزاع بينهما(٨٩) ، وحـــواء وولدها عبدالحارث(٩٠) والنبي داود(٩١) ، وأسباب بعث الانبيـــاء(٩٢) ، وسام وحام ويافث(٩٣) ، ونبي الله ابراهيم وزواجه من هاجر ومولد اسماعيل وحفر بئر زمزم(٩٤) ، وأول ظهور الحج الى الكعبة زمن ابراهيم(٩٥) ، وقصة فداء اسماعيل(٩٦) ، وشيئا عن موســى(٩٧) ، وهارون(٩٨) ، وأصحاب الكهـــف(٩٩) وملـــوك الطوائف(١٠٠) والمدة بين آدم ونوح عليهما السلام(١٠١) .

ونقل الطبري عنه اخبارا تتعلق بالفترة الاسلامية ، كزواج عائشـــة من رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٠٢) وعدد المسلمين في بدر(١٠٣) ، وعن موقعة احد(١٠٤)، وفرض الصلاة(١٠٥) ويوم الخندق وسلمان الفارسي(١٠٦) وفتح حصن خيبر(١٠٧) ، وخبرا عن بناء البصرة وسببه(١٠٨) ، كما أورد له

الطبري أشياء كثيرة عن عمر بن الخطاب : من ذلك خطبة له(١٠٩) ، وكيف كان رضي الله عنه يعس بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقد احوالهم بيديه(١١٠) ، ومحاولته أخذ فضول أموال الاغنياء وتقسيمها على الفقراء(١١١)، وحرصه وتشديده في معاملة عماله(١١٢) ، وتناولت رواية الطبري عنه امورا أخـرى(١١٣) .

وروى الطبري كل هذه الاخبار عن محمد بن بشـــار مباشرة ، وفي الوقت نفسه روى عنه اخبارا أخـرى في التفسير(١١٤) وتناولت ذلك الكتب التاريخية الاخرى(١١٥) .

ويبدو لي من الاخبار التي رواها الطبري وغيره عن محمد بن بشـار انه كان صاحب تأليف ، أو أنه على الاقل قد دون بعض مروياته ، ويبدو ذلك من السبك والتسلسل الواضح في رواياته والتسلسل الزمني الذي أخذ عنه الطبري . ومما يلاحظ أيضا انه تناول فترات محتمة من التاريخ الاسلامي وقدم بذلك دليلا على ترابط الحديث والتاريخ . واني مورد لك فيما يأتي نصا رواه الطبري عن محمد بن بشار حول غزوة الخندق ، قد نستطيع منه أن نبين اسلوب محمد بن بشار وطريقته وعرضه للمـــادة : فحدثنا عن محمد بن بشار ، قال حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال ، حدثنا كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدثني ابـــي ، عن أبيه ، قال :

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الاحزاب من أجـم الشيخين(١١٦) طرف بني حارثة ، حتى بلغ المذاد(١١٧) ثم قطعه أربعين ذراعا بين كل عشرة ، فاحتق المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي ــ وكان رجلا قويا ــ فقالت الانصار . سلمان منـــا ، وقـــالت المهاجرون : سـلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منـــا أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنت انا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، والنعمان ابن مقرن المزني ، وستة من الانصار في اربعـين ذراعا ، فحفرنا تحت ذو باب حتى بلغنا الندى ، فاخرج الله عز وجل من بطن الخندق صـــخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا ، وشقت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، اما ان نعدل عنها فان المعدل قريب ، واما أن يأمرنا فيها بأمره ، فانا لا نحب أن نجاوز خطه .

فرقي سلمان حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية ، فقال : يا رسول الله ، بأبينا انت وأمنا ! خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة ، فكسرت حديدنا ، وشقت علينا حتى ما نحيـك فيها قليلا ولا كثيرا ، فمرنا فيها بأمرك ، فانا لا نحب ان نجاوز خطـك . فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخنـدق ، ورقينـا نحن التسعة على شقة الخندق ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسـلم

المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيها (١١٨) — يعني لابتي المدينة — حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح ، وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية ، فصدعها وبرق منها برقة أضاء منها ما بين لابتيها ، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها، وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها ، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقى ، فقال سلمان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد رأيت شيئا ما رأيته قط ! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج ، فرأيناك تكبر فتكبر ولا نرى شيئا غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى ، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثالثة، فبرق منها الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ? فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الاحزاب ، فقال المؤمنون : « هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما»(١١٩) وقال المنافقون : ألا تعجبون ! يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ! يخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وانها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا ! وانزل القرآن : « واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا »(١٢٠) (١٢١)

ونحن حينما نستعرض معظم المؤرخين نجدهم ممن عنوا بالحديث وبرزوا فيه ، وكان الاساس الذي دفعهم الى الاهتمام بالتاريخ ، ويكفي ان نتذكر الخطيب البغدادي « ت ٤٦٣ هـ » وأبا سعد السمعاني « ت ٥٦٢ هـ » ، وعبدالرحمن بن الجوزي « ت ٥٩٧ هـ » وابن الدبيثي الواسطي « ت ٦٣٧ هـ » ومحب الدين ابن النجار « ت ٦٤٣ هـ » وزكي الدين عبدالعظيم المنذري الشافعي « ت ٦٥٦ هـ » وابن الساعي البغدادي مؤرخ العراق العظيم « ت ٦٧٤ » وابن كثير الدمشقي « ت ٧٧٤ هـ » ومؤرخ

العراق ابن الفوطي البغدادي « ت ٧٢٣ هـ » وشمس الدين الذهبي « ت ٧٤٨هـ » وابن حجر العسقلاني « ت ٨٥٢ هـ » وجلال الدين السيوطي « ت ٩١١ هـ » ... الخ .

---

(١) انظر مثلا : جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج٧ ص ٣٦ فما بعد ، الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٣ـ١٨ . وتجد فيه فكرة واضحة عن الموضوع ، روزنثال علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٩ـ٣٨ ، حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب .

(٢) تناول الاستاذ سيدرسكي ، عضو الجمعية الاسيوية ، موضوع القصص الوارد في القرآن والاحاديث النبوية بالبحث في احد كتبه ، وحاول ان يرجع اصولها ، وقدم بذلك دراسة مقارنة ، فتكلم عن آدم ، وابراهيم ، ويوسف ، وموسى وداود وسليمان وغيرهم ، انظر .

D. Sidersky · Les Origines des L'egendes Musulmanes Dans le coran et dans les vies des Prophetes. Paris 1933.

(٣) البخاري : التاريخ ج١ قسم ١ ص ٢١٦ـ٢١٧ ، ابن القيسراني : الجمع ج٢ ص ٤٤٨ـ٤٤٩ ؛ الذهبي : اهل المائة فصاعدا ، الورقة ٤ (نسخة دار الكتب الظاهرية) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج٩ ص ٤٢٠ـ٤٢٢ .

(٣) انظر : ابن سعد : الطبقات ج٥ ص ٣٩٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١٥ ص ١٠٦ .

(٤) ابن سعد الطبقات ج ٦ ص ١٧٩ ، الذهبي تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٥ ابن العماد شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٨ .

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٢٤ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص .

(٧) استغرق ذلك الجزئين الاول والثاني وقسم من الجزء الثالث من تاريخه ، ومع ذلك فهو مختصر لكثير من الاخبار .

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٦ .

(٩) أثارت مشكلة اخذ قول الصحابي وعمله في التشريع مناقشات طويلة في كتب الفقه وأصوله ، فذهب البعض الى القول بحجيته ومن هؤلاء ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين ج ٣ ص ٣٧٧ ـ ٤٠٥ ، واورد أقوالا لابي حنيفة والشافعي تؤيد رأيه ، قال الشافعي : « ما كان الكتاب والسنة موجودين فلا عذر في العدول عنهما ، فان لم يكونا ، صرنا الى أقاويل الصحابة أو واحد منهم ، وقول الائمة ابي بكر وعمر وعثمان احب الينا اذا صرنا الى التقليد ، لان قول الامام مشهور يلزم الناس به . » وانظر ايضا الآمدي الاحكام ج ٣ ص ١٠٣ . وعلي حسب الله : أصول التشريع الاسلامي . ط ٣ القاهرة ١٩٦٤ ص ٦١ ـ ٦٣ .

(١٠) أنظر كتاب الدكتور صالح العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري بغداد ١٩٥٣ . وكذلك مقالته عن « استيطان العرب في خراسان » المنشوره في مجلة كلية الآداب والعلوم ، العدد الثاني .

(١١) انظر ابن النديم : الفهرست ص ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٦١ « المناظرات بين القبائل وأشراف العشائر » لابي الحسن النسابة ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٨٤ « مفاخرة القبائل في النسب » لابي الوزير عمر بن المطرف .

(١٢) الفهرست ص ١٣٦ .

(١٣) نفس المصدر ص ١٥٠ .

(١٤) نفس المصدر ص ١٣٧ .

(١٥) انظر مثلا الفهرست ص ١١٦ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢١٠ .
وانظر الرسالة التي تقدم بها الصديق الاستاذ عبدالله السلوم عن الشعوبية لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد ١٩٦٥ . ومظاهر الشعوبية في الادب العربي لنبيه حجاب . والفصل الذي كتبه الدكتور طه الحاجري في كتابه عن الجاحظ .

(١٦) اعتمدت على النسخة المصورة في المكتبة المركزية في جامعة بغداد . ومنه نسخة مصورة عند الاستاذ حسام السامرائي صورها من استانبول .

(١٧) منه نسخة مختارة في مكتبة الاوقاف ببغداد .

(١٨) السمناني روضة القضاة وطريق النجاة مخطوطة دار كتب مدينة مونيخ . رقم Cod. arab 260 .

(١٩) روضة القضاة ، الورقة ١٧ ب فما بعد .

(٢٠) ابن الاثير الكامل ج ١ ص ٤ ـ ٥ .

(٢١) المصدر السابق ج ١ ص ٥ .

(*) لمعلومات اوسع راجع مقالي : مظاهر تاثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين . المنشورة في مجلة الاقلام البغدادية . العدد الخامس من السنة الاولى .

(٢٢) ابن النديم ، الفهرست ص ١٣٤ .

(٢٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٦ ، الطوسي : الفهرست ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ، ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ ص ١٤٠ ـ ١٤١ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٦٠ ، ابن حجر : لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

(٢٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة « سيف بن عمر » .

(٢٥) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٧ ، الطوسي : الفهرست ص ١٧١ ـ ١٧٢ ، النجاشي : كتاب الرجال ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

(٢٦) انظر مقالة خالد العسلي عن المدائني المنشورة في مجلة كلية الآداب العدد الخامس .

(٢٧) للتوسع في دراسة المغازي انظر كتاب يوسف هوروفتس : المغازي الاولى ومؤلفوها . ترجمة الدكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٤٩ ، الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠) خاصة ص ٦١ فما بعد . كما كتب الدكتور الدوري بحثا عن ابن اسحاق قدمه لمجمع اللغة العربية المنعقد ببغداد في تشرين الثاني ١٩٦٥ ، حسين نصار نشأة التدوين التاريخي عند العرب . ومادة « سيرة » في دائرة المعارف الاسلامية . وهناك بحوث كثيرة أخرى .

(٢٨) لمعلومات أوسع أنظر .

C. Snouck Hurgronic. Selected works of C Snouck Hurgronic ed. by G.H. Bousqnet and J Schacht, Leiden 1959 pp 48 ff

(٢٩) وصلتنا بعض هذه الرسائل مدونة في سيرة ابن اسحاق ، ومغازي الواقدي ، وتاريخ الطبري . انظر تفاصيل ذلك في بحث الدكتور نصار : نشأة التدوين التاريخي ص ٣١ فما بعد ، والدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٦٢ فما بعد ، ص ١٣٧ ـ ١٥١ .

(٣٠) الاصفهاني : الاغاني ج ١٩ ص ٦٩ (ساسي) .

(٣١) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص ٣٠ .

(٣٢) ابن سعد . الطبقات ج ٥ ص ١١٢ ـ ١١٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٧ .

(٣٣) اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص ٣ .

(٣٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٠٦ ، حسين نصار . نشأة التدوين التاريخي ص ٢٩ ـ ٣١ .

(٣٥) ابن سعد . الطبقات ج ج ٥ ص ١٥٦ .

(٣٦) نفس المصدر ج ٥ ص ١١٣ ٠

(٣٧) البخاري : التاريخ الكبير ج ١ ص ٤٥٠ ــ ٤٥١ ٠

(٣٨) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٧ ٠

(٣٩) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٤٧ ٠

(٤٠) كان هشام بن عروة بن الزبير من أئمة الحديث ٠ حدث عن أبيه ، وعمه عبدالله ابن الزبير ، وأكثر أسرة آل الزبير ، وجماعة كثيرة أخرى ٠ ثم زار الكوفة ، وحدث هناك بالكثير عن أبيه ، ودخل بغداد وافدا على المنصور حيث توفي بها سنة ١٤٦ هـ ٠

ويبدو من الروايات الكثيرة التي اوردها الطبري ، وهي في ٣٤ موضعا (انظر : فهرس تاريخ الطبري ص ٦١٢) ، والاحاديث التي أوردها له اصحاب الصحاح ، وهي قرابة الاربعمائة حديث ، انه قلما كان يروي عن غير والده ، ولذلك يبدو انه كان ينقل من كتب أبيه عروة ، وعلى هذا فمن المحتمل انه وضع كتبا على نسق كتب والده ، اعتمد فيها على كتب أبيه واضاف من عنده معلومات جديدة ٠

انظر : نسب قريش ص ٢٤٨ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ١ ص ٣٠٢ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٩٤ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج٣ص ٢٥٥ ، جواد علي موارد تاريخ الطبري في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ مجلد ٣ ص ٤٧ ــ ٤٨ ٠

(٤١) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٣ ٠

(٤٢) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٤ ، البخاري : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٥٨ ٠

(٤٣) البخاري : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣٢ ٠

(٤٤) نفس المصدر والجزء والصفحة ٠

(٤٥) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٤ ٠

(٤٦) نفس المصدر ج ٥ ص ١٣٥ ٠ وكتب مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ رسالة في رجال عروة بن الزبير ، منه نسخة خطية بالمكتبة الظاهرية بدمشق ٠ الرقم : مجموع ٥٥ من الورقة ١٣٩ الى ١٤٧ ٠

(٤٧) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص ٧٨ ــ ١٠٢ ٠

(٤٨) نفس المصدر ص ٢٣ ٠

(٤٩) دائرة المعارف الاسلامية مادة « سيرة » ٠

(٥٠) ابن أبي حاتم الرازي:الجرح والتعديل ج٤ قسم١ ص١٥٥ ، الذهبي : تذكرةالحفاظ ج ١ ص ١٤٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٦٠ ، حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ص ٥٣ ــ ٥٦ ٠

(٥١) ابو نعيم : حلية الاولياء ج ٣ ص ٣٦١ (القاهرة ١٩٣٢) ٠

(٥٢) ابن سعد : الطبقات م ٧ قسم ٢ ص ٦٧ ، البخاري : التاريخ ج ١ قسم ١ ص ٤٠ ، ابن النديم : الفهرست ص ٩٤ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ ، ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٣٩٩ ــ ٤٠١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٨٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨ ٠

(٥٣) من القدماء المصادر التي ذكرناها ، اضافة الى قضية الشعر الموضوع التي تناولها ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ، كما أورد ياقوت أقوال طائفة من النقاد عن شعره ،

وتجد ذلك معروضا في مقال الدكتور وليد عرفات « النافدون الاولون لشعر السيرة » الذي ترجمته ونشرته في مجلة الاقلام البغدادية العدد الثالث السنة الاولى ٠ ومن المحدثين تناول ابن اسحاق عدد هائل من الباحثين نذكر منهم كايتاني ، وميور ، ولامنس ، وبيكر ، وتولدكة وليفي دي لافيدا ، وادورد سخاو ، وجب ، وبلاشير ، ونستنفلد ، وبروكلمان ، ومرغليوث

وفيك ، وهي أوسع دراسة باللغة الالمانية ، وهوروفتس ، ومونتغمري وات وغيرهم ومن العرب : احمد امين في ضحى الاسلام ، وحسين نصار في نشأة التدوين التاريخي ، وجواد علي في مواد تاريخ الطبري ، والدوري في نشأة علم التاريخ عند العرب ، واخيرا مقاله الذي قدمه لمجمع اللغة العربية المنعقد ببغداد ١٩٦٥ بعنوان : « دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحاق » .

(٥٤) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٤ .

(٥٥) هوروفتس : المغازي الاولى ومؤلفوها . ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٨٢ .

(٥٦) الدوري : دراسة في سيرة النبي (ص) ومؤلفها ابن اسحاق . بغداد ١٩٦٥ ص ١١ — ١٤ .

(٥٧) مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الخامس ج ١ ص ١٤ ــ ١٥ . وكنت قد اشرت الى هذا الخبر في تعليقي على مقال الدكتور وليد عرفات « الناقدون الاولون لشعر السيرة » الذي ترجمته ونشرته في مجلة الاقلام العدد الثالث من السنة الاولى (ص ١٢٩ هامش رقم ١١) وبينت اهمية هذه الاجزاء لو قورنت مع النسخة الحالية من ابن هشام .

(٥٨) الدوري : دراسة في سيرة النبي ص ٢١ ــ ٢٤ .

(٥٩) الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص ١٦ ، السيوطي : ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٥٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٨-١٠ .

(٦٠) عيون الاثر ص ١٠ ــ ١٣ (القاهرة ١٣٥٦ هـ) .

(٦١) نفس المصدر ص ١٣ ــ ٢١ .

(٦٢) البخاري : التاريخ الكبير ج ١ قسم ١ ص ٤٠ .

(٦٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٦٨٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٢ .

(٦٤) عيون الاثر ص ٨ ــ ٩ .

(٦٥) ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٤٠١ .

(٦٦) أنظر : ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٦ ، ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣ ــ ٢١ ، السمعاني : الانساب ص ٥٧٧ ب ، ياقوت : ارشاد ج ٥ ص ٥٥ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥-٦ ، ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ١٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٧ ، ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٦٣ ــ ٣٦٨ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ج ١ ص ٧٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨ .

(٦٧) أنظر : الناقدون الاولون لشعر السيرة . ترجمتي ص ١٣١ .

(٦٨) ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٤٠١ . وقد وجدت قطعة صغيرة من تاريخه هذا مكتوبة على البردي أنظر :

N. Abbott: Studies in Arabic Literary Papyri Vol. I pp. 80-100 (Chicago 1955).

(٦٩) انظر عن كتبه مثلا : ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣ ــ ٢١ ، ياقوت : ارشاد ج ٥ ص ٥٥ الخ .. وأنظر أعلاه في مظان ترجمته .

(٧٠) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج ٣ ص ٣٩ ــ ٤٠ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٣٣ .

(٧١) راجع فهرست تاريخ الطبري ص ٣٨ .

(٧٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٨ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥١ ــ ١٥٥ ، الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء

ج ٢ ص ٣٦٠ ، طبقات المدلسين ص ٢٠ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ ص ٥٠٠ ٠

(٧٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥١ ـ ١٥٢ ٠

(٧٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥٢ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٥ ٠

(٧٥) فهرس تاريخ الطبري ص ٦٢٩ ٠

(٧٦) لقب « بندار » لجمعة حديث مالك ٠ وبندار ، مفرد « بنادرة » وهم التجار الذين يخزنون البضائع للغلاء ، وقال السمعاني : البندار : بضم الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهملة وفي آخره الراء ٠ هذه النسبة الى من يكون مكثرا من شيء (الانساب ، الورقة ٩٢ أ) ٠

(٧٧) ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ج ٣ قسم ٢ ص ٢١٤ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٢ ص ١٠١ـ١١٠٥ ، ابن القيسراني : الجمع ج٢ ص ٤٣٥ ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٧ ، ج ٢ ص ١٢٩ ، ج ٣ ص ١٠ الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٧٠ ٠

(٧٨) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠٢ ٠

(٧٩) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠١ ٠

(٨٠) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠٢ ٠

(٨١) نفس المصدر والجزء والصفحة ٠

(٨٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٧٤ ٠

(٨٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠٤ ٠

(٨٤) الطبري : تاريخ ج ١ ص ١١ ، ٣٤ ، ٥١ (ط ٠ ابو الفضل ابراهيم) ٠

(٨٥) نفس المصدر ج ١ ص ٦١ ـ ٦٢ ٠

(٨٦) نفس المصدر ج ١ ص ٧٦ ٠

(٨٧) نفس المصدر ج ١ ص ٩٢ ـ ٩٣ ٠

(٨٨) نفس المصدر ج ١ ص ١٢٧ ٠

(٨٩) نفس المصدر ج ١ ص ١٤١ ـ ١٤٢ ٠

(٩٠) نفس المصدر ج ١ ص ١٤٨ ٠

(٩١) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٧ ٠

(٩٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٧٨ ٠

(٩٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٩٢ ٠

(٩٤) نفس المصدر ج ١ ص ١٩٢ ٠

(٩٥) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦١ ـ ٢٣٨ ٠

(٩٦) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٧٧ ٠

(٩٧) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦٦ ، ٤٣١ ٠

(٩٨) نفس المصدر ج ١ ص ٤٤٣ ٠

(٩٩) نفس المصدر ج ٢ ص ٥ ٠

(١٠٠) نفس المصدر ج ٢ ص ٢١ ٠

(١٠١) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٢٥ ٠

(١٠٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣٢ ٠

(١٠٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٣٩٩ ٠

(١٠٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٥١٥ ٠

(١٠٥) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٥٧ ٠

(١٠٦) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٦٧ ـ ٥٧٠ ٠

(١٠٧) نفس المصدر ج ٣ ص ١١ – ١٢ ·
(١٠٨) نفس المصدر ج ٣ ص ٥٩١ – ٥٩٢ ·
(١٠٩) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٣ – ٢٠٤ ·
(١١٠) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٥ ·
(١١١) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٦٦ ·
(١١٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٦٦ ·
(١١٣) انظر الطبري : التاريخ الحلقة ٣ ص ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٥ ، ٢٣٧٦ ، ٢٣٨٥ ، ٢٣٩٣ ، ٢٣٩٦ ، ٢٤١٥ ، ٢٤٢٦ ، ٢٤٦٥ ، ٢٤٦٦ ٢٤٧٢ (ط · الاوربية) ·
(١١٤) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٦٨ ، ج ٤ ص ٢٧٥ ، ج ٩ ص ٢٩ ، ١٣٢ ، ج ١٠ ص ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ج ١٣ ص ١٩٠ ، ٢٤٠ ، ج ١٥ ص ٣٨ ، ١٥٠ ، ج ١٧ ص ١٠٦ (بولاق) ، ج ٢١ ص ٨٥ – ٨٦ (بولاق) ·
(١٠٥) أنظر مثلا : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٣٦ ·
(١١٦) الاجم : الاطم وهو الحصن ، والشيخان : موضع بالمدينة ، كان فيه معسكر الرسول (ص) ليلة خرج لقتال المشركين بأحد ·
(١١٧) المذاد : موضع بالمدينة مكان الخندق ·
(١١٨) اللابة : الحرة ، والمدينة تقع بين حرتين أي لابتين ·
(١١٩) الاحزاب ٢٢ ·
(١٢٠) الاحزاب ١٢ ·
(١٢١) الطبري : تاريخ ج ٢ ص ٥٦٧ – ٥٧٠ وانظر : الطبري تفسير ج ٢١ ص ٨٥ – ٨٦ (بولاق) ·

